

مقدّمة الملف: الأمثال الشعبيّة

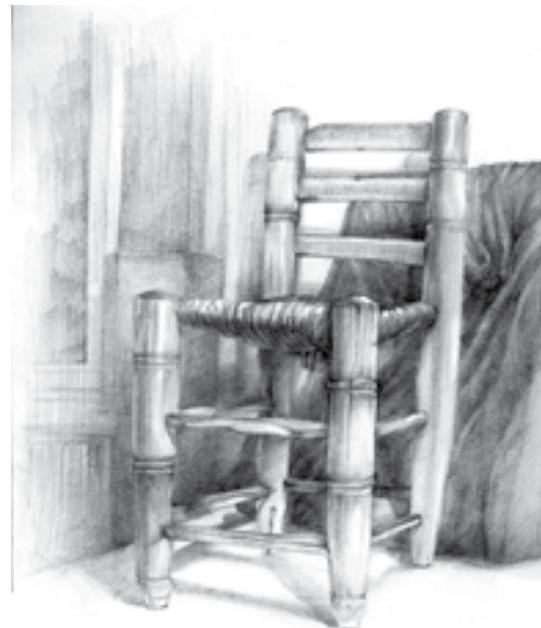
عايد أبو فردة/ الأردن

في صورة كلمات مختصرة معبّرة جاءت بلهجتها الخاصّة، وبعضهم يعتبرها موروثات الشعوب التي تستخدمها في كل حياتها الشعبيّة ومجالاتها المختلفة تَقَلِّها الحَلْف عن السَّلَف. وقد يأتي المثل مُفَنِّعًا بكلماته القليلة بما لا تقدر عليه الكلمات الكثيرة، فهو يخاطب العقل في الإنسان ويستميله، فالعقل يدرك ما كان من طبيعته الوضوح والتبسيط، كما يكون المثل أداة تعبير عن الفكرة أو الشعور، فإذا توغّلنا في دراستنا للمثل الشعبيّ سنجدّه كما نجد الكون يمدُّ بظلاله على كل صغيرة وكبيرة، فيه الحلو والمرّ، وفيه اللين والقاسي، وفيه القريب والبعيد، وفيه السهل والصّعب، فهو متنقّل جوال سائر ليس له مكان معيّن ولا هو ملك لأمة بعينها، واحد في معناه ولكنّ لباسه يختلف من أمة لأمة ومن لهجة للهجة، يطول ويقصر في لفظه، ولكنه يبقى محافظًا على جوهره في التجربة، وذلك لأنّ التجارب التي ينطلق منها تجارب إنسانيّة. أعطي المثل تعريفات كثيرة، فقد عرّفه الفارابي

لِكُلِّ أُمَّةٍ وشعب مآثورات شعبيّة أو عادات وتقاليدها تتورّ وتتاثر بالتواحي الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة وغيرها، ولقد ضرب الله الأمثال في القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعًا وذلك لأخذ العبرة والتفكّر كقوله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُصْرِهِمُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (الحشر: 21). وقوله تعالى: "وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (إبراهيم: 25). وكانت الأمثال في القرآن الكريم من البيّنة ومن واقع الحياة في المجتمع آنذاك.

ويُعتبر المثل الشعبيّ أحد عناصر التراث المهمّة، والتراث هو تاريخ الشعب، فلا شعب بلا تراث ولا تراث بلا شعب، فالأمر تفخر بماضيها كما تفخر بحاضرها وتتخذ من الماضي دليلًا على عراققة أمجادها؛ ومن هنا يأتي فخرها بالتراث الفكري والاجتماعي والتاريخي بجميع أنماطه. فالأمثال الشعبيّة يتداولها العامّة والخاصّة ويعتبرها بعض الناس "ملح الحديث"، فهي خلاصة تجارب خاضتها الشعوب فعبرت عنها

بقوله: "المثل ما ترضاه العامّة والخاصّة في لفظه ومعناه حتى ابتذله فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء"، كذلك عرفه ابن عبد ربه بقوله: "الأمثال هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلى المعاني التي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان ومكان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر كسبورها ولا عمّ عمومها حتى قالوا: أسير من مثل". والمثل الشعبي جزء من التراث الأدبي الذي يجب المحافظة عليه والاهتمام الكبير به، فالأمثال الشعبيّة مادة حضاريّة تشير إلى ما وصلت إليه العقليّة البشريّة من نفاذ في الفكر وصدق في التجربة وأصالة في التعبير، وهي تمثل أيضًا مادة تراثيّة ضخمة بما تضمّه من تصوير حيّ وصادق للبيئة وما صورته من معالم وعلاقات بين الناس من أمور حياتيّة دقيقة وأحاديث تتغلغل في داخل النّفس البشريّة، فتكشف خباياها وتُبرز مكنوناتها للمجتمع بقطيعه المرأة والرجل. الأمثال الشعبيّة هي حكمة الشعوب؛ حيث تستشعر الحكمة في نطقهم من خلال ما كانوا



يطرحون من تجارب حياتهم، ويُخرجون ما في ذواتهم من مخزون، وقد كان الأثر الكبير لامتدادهم في جذورهم التاريخيّة العريقة التي تبض في عروقهم وتتشكّل على وجوههم، وكان ما يتلفظون به جواهر لا بدّ أنهم غاصوا في أعماق التاريخ حتى تحصّلوا عليها، ونراهم كثيرًا ما كانوا يحسمون جدّ لهم بجملة قصيرة سرعان ما تطرح ما كان عليهم من أعباء، ويفرّجون همومًا ما كانت تفرج لولا هذه الأمثال المضيئة التي تجعل من العسر يسرًا، والصعب سهلًا، كلمات طيبة تشرح القلب وتبعث فيه الدفء.

ولقد تناولت الأمثال الشعبيّة موضوعات شتى وغطت جميع مناحي الحياة. ولما كانت الأمثال جزءًا من هذا التراث، فهي الجزء المهمّ، وقد صدق من قال: "لا شيء ينبئنا عن روح الشعب أكثر من أمثاله"، وهي كذلك نتاج للبيئة الطبيعيّة معبّرة تعبيرًا أدبيًا عن التّجارب الإنسانيّة.

ولهذا، ارتأت هيئة تحرير مجلة "أفكار" أن يتضمّن هذا العدد ملفًا عن "الأمثال الشعبيّة"، سيجد القارئ في هذا الملف مجموعة من الدراسات التي تناولت بعض الجزئيات من الأمثال الشعبيّة، علمًا أنّ "المثل ما خلّى شيء إلا ما قاله"، فاشتمل الملف على الدراسات التي تناولت المرأة، الفقر، الفلاح، الكلاب والقطط في الأمثال الشعبيّة، كما تضمّن دراسة حول الثقافة وعلاقتها بترجمة الأمثال. وتظّل مسألة البحث في الأمثال الشعبيّة ودراساتها مجالًا رحبًا لا يمكن تغطيته في دراسات معدودة، آمليّن أن يجد القارئ المتعة والفائدة في هذه المواد ■